

تقرير

خليفة حرب
khalilharb66@gmail.comتدويل الحرب بين السراج وحفتر
عين اردوغان على ليبيا: لماذا؟

تندرج منذ اشهر كرة النار الليبية حتى وصلت في بداية العام 2020 الى مرحلة الانفجار الاكبر الذي قد تطاول شطاياه اطرافا اقليميين كثيرين، مع قرار تركيا التدخل عسكريا في ليبيا، ما يفتح منطقة البحر المتوسط على احتمالات لا تحمد عقباه



الرئيس التركي رجب طيب اردوغان وفايز السراج خلال لقاءهما في اسطنبول.

في تحول لمشهد الحرب الاهلية الليبية المندلعة منذ سقوط نظام العقيد معمر القذافي، ارسل الرئيس التركي رجب طيب اردوغان قواته الى ليبيا، مؤكدا بذلك الانحياز الكامل في الحرب الى حكومة الوفاق الوطني برئاسة فايز السراج، وذلك بعدما صوت البرلمان التركي في 2 كانون الثاني الفائت على مشروع قانون يفوضه استخدام قواته في ليبيا عبر البحر.

يراهن اردوغان على حكومة السراج المعترف بها دوليا، والمتمركزة في العاصمة طرابلس، لمواجهة قوات الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر المتمركز في بنغازي. هذا في اختصار للمشهد. اما في التفاصيل، فان الحكاية اكثر تعقيدا وخطورة. على خطوط تماس الحرب الليبية، ثمة قوى منخرطة في هذه المواجهة الاقليمية. مصر، السعودية، والامارات من جهة، تتلاقى ايضا مع دور روسي غير مباشر، بالإضافة الى اليونان وقبرص ومن خلفهما الاتحاد الاوروبي، وهناك ايضا

قطر. بصورة اكثر دقة، هناك بالإضافة الى التنافس او التنافر السياسي بعد اقتصادي يتمثل في مصادر الطاقة في ليبيا والبحر الابيض المتوسط.

بمعنى آخر، انفجار النزاع سيؤدي حتما الى امتداد النيران الى دول اخرى. لذا ثمة مخاوف حول تونس والجزائر وهما تهران في مراحل انتقالية. هناك ايضا تقدير عام

هه تستنسخ الحرب السورية في ليبيا بمفاعيل أكثر تفجرا؟



الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي والشيخ محمد بن زايد والمشير خليفة حفتر.

بأن المنظمات الارهابية ستجد في هذا النزاع الاقليمي فرصة ملائمة لها للتمدد والحضور، وهو احتمال صار مرجحا بعدما تبين ان السلطات التركية عمدت الى نقل مئات المسلحين الذين قاتلوا في صفوف فصائل مسلحة في سوريا، الى ليبيا لدعم صفوف جنود حكومة السراج.

يمكن القول ان التحول الكبير في الاحداث الليبية، تمثل في توقيع اردوغان والسراج في 27 تشرين الثاني 2019، مذكري تفاهم تتعلق الاولى بالتعاون الامني والعسكري، والثانية بتحديد مناطق الصلاحيات البحرية.

المذكرة الاولى سمحت لاردوغان والسراج باطلاق عملية التدخل العسكري التركي المباشر في الحرب الليبية، بينما تتيح المذكرة الثانية لانقرة بسط نفوذها البحري على موارد الطاقة في تنافس يهدد مصالح اليونان وقبرص، مع احتدام الصراع الاقليمي - الدولي على موارد الطاقة في شرق المتوسط.

في مؤشر على هذا التوتر، قامت اليونان بطرد السفير الليبي لديها احتجاجا على المذكرة التي تتيح لتركيا القيام بعمليات تنقيب عن الغاز قبالة جزيرة قبرص المقسمة بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الاتراك، خصوصا في منطقة الجرف الليبي في البحر حيث يعتقد بوجود آبار غاز وبنفط. ◀

انقسام عربي

ما اثار تكهنات بأن الجزائر التي تملك اطول حدود برية مع ليبيا تصل الى الف كيلومتر، ربما تلعب دورا للبحث عن مخرج سلمي للنزاع. لكن الموقف القوي الذي اتخذه الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون ظهر عندما قال ان الجزائر تعتبر العاصمة طرابلس خطا احمر ترجو ان لا يتجاوزه احد، ما فسر على انه اعتراض جزائري على اعلى مستوى على الهجوم الكبير الذي تشنه قوات حفتر على العاصمة.

في الوقت ذاته، تحدثت تقارير عن وصول الف مسلح من فصائل سورية موالية لتركيا، الى ليبيا للقتال في صفوف قوات السراج، بينما تقول مصادر حكومة حفتر ان الاف المسلحين المواليين لتنظيمي داعش والنصرة تدفقوا على ليبيا بمساعدة تركية.

في كانون الثاني الماضي، ذكرت وكالة الانباء السورية (سانا) ان وزارة النقل منحت الاذن لطائرات الخطوط الجوية الليبية بالعبور فوق الاجواء السورية، بعد طلب تقدمت به هيئة الطيران المدني الليبية التي تقع في شرق البلاد، حيث مواقع سيطرة قوات حفتر.

تنقسم الدول العربية حول الملف الليبي بشكل كبير. تقف مصر والسعودية والامارات مع حكومة حفتر، وتقف في المقابل قطر الى جانب تركيا وحكومة السراج. في هذه الاثناء، تحمل انقرة على محاولة تكوين محيط اقليمي اكثر تقدما لتغلغلها في الملف الليبي.

قام اردوغان الى جانب لقاءاته المتكررة مع السراج، بزيارة مفاجئة الى تونس في 25 كانون الاول الماضي، تسرب بعدها انه حاول اقناع الرئيس التونسي قيس سعيد بتقديم تسهيلات لتحركات القوات التركية جوا وبحرا عبر تونس، وهو ما نفتته الرئاسة التونسية التي اكدت سياسة التأني بالنفس عن المحاور المشككة. كما ان الرئاسة التونسية اكدت موقف بلاها الرافض للتدخل الخارجي في الازمة الليبية. لكن الزيارة تسببت في بلبله داخلية حيث تتمتع قوى اسلامية موالية للخط الاسلامي التركي بنفوذ في الشارع التونسي.

في 6 كانون الثاني الماضي، حط وزير الخارجية التركي مولود جاويش اوغلو في الجزائر بالتزامن مع زيارة يقوم بها فايز السراج الى العاصمة الجزائرية،

مذكرة التفاهم

في الآتي بعض ابرز ما تضمنته الاتفاقية المبرمة في 27 تشرين الثاني 2019 بين رجب طيب اردوغان وفايز السراج، بحسب ما نشره موقع "ترك برس" التركي، تحت عنوان مذكرة تفاهم للتعاون الامني والعسكري بين حكومة جمهورية تركيا وحكومة الوفاق الوطني - دولة ليبيا المؤلفة من 17 صفحة، ويذكر ان هناك اتفاقية اخرى مرفقة تتعلق بتسييم الحدود البحرية.

- 1- دعم انشاء قوة الاستجابة السريعة بالتعاون مع الامن والجيش في ليبيا، لنقل الخبرات والدعم التدريبي والاستشاري والتخطيطي والمعدات من الجانب التركي.
 - 2- التدريب والتعليم الامني والعسكري.
 - 3- تقديم خدمات تدريبية واستشارية تتعلق بالتخطيط العسكري، ونقل الخبرات واستخدام نشاطات التعليم والتدريب ونظم الاسلحة والمعدات في مجال نشاطات القوات البرية والبحرية والجوية، الموجودة ضمن القوات المسلحة داخل حدود الطرفين.
- 4- تنفيذ المناورات المشتركة في مجال مكافحة الارهاب، الهجرة غير الشرعية، امن الحدود البرية والبحرية والجوية، مكافحة المخدرات والتزهيب، عمليات التخلص من الذخائر المتفجرة والالغام.
- 5- توفير التدريب، المعلومات التقنية، الدعم، التطوير، الصيانة، التصليح، الاسترجاع، التخلص، تقديم المشورة، تحديد الآليات والمعدات والاسلحة البرية والبحرية والجوية والمباني والعقارات (مراكز التدريب)، شرط ان يحتفظ المالك بها.
- 6- الصناعة الخاصة بالامن والدفاع.
- الجانب الاستخباري:
- يتضمن هذا البند تبادل المعلومات الاستخباراتية والتعاون العملي، وتبادل المعلومات والخبرات في مجالات البحث العلمي والتكنولوجي في مجال الدفاع والامن، والاتصالات والالكترونيات وانظمة المعلومات والدفاع الالكتروني. كما يتضمن انشاء مكتب مشترك في ليبيا للتعاون في مجالات الامن والدفاع.

المشير حفتر زعيم غير شرعي ويمثل هيكلا غير شرعي.

لكن المؤكد ان مذكرة التفاهم تعيد خلط الاوراق الاقليمية، بعد انكسار رهانات اقليمية ودولية كبرى حول الحرب السورية، وانكسار المشروع التركي بشكل كبير، وتعيد ربما تمركز الحريق الاقليمي في اتجاه شمال افريقيا، ما يعني مزيدا من المخاطر على مصر وبلاد المغرب العربي.

عندما يجتمع التنافس السياسي مع الشهية للنفت والغاز، سيولد ذلك الدم حتما. تفتقر تركيا الى موارد نفط وغاز وتستورد غالبية حاجاتها، وبشكل الجرف البحري مع ليبيا فرصة لا تعوض، مع استمرار التوتر البحري بينها وبين كل من اليونان وقبرص حول موارد الطاقة في شرق المتوسط. منح النصر العسكري الحاسم لحكومة السراج في المعركة الكبرى حول ليبيا، سيمنح لها حصة في سوق الطاقة الليبية التي طالما اثارت شهية الاوروبيين، وربما عجلت في نهاية حكم معمر القذافي.

يلخص الخبير في مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية بشرى عبد الفتاح لقناة فرانس 24، اهداف تركيا في ليبيا باربعة:

- الطاقة وتوفير 50 مليار دولار سنويا مما تستورد.

- الرد على اتفاقية ايستمد الموقعة بين اليونان وقبرص واسرائيل التي توفر الطاقة لاوروبا عبر خط انابيب.

- التوضع قرب مصر التي تدعم المشير حفتر.
- احياء العثمانية الجديدة بمد نفوذها الاقليمي.

تسارع تركيا الى السباق في ميدان الطاقة لانتزاع حصة لها، او ربما لاجبار الدول النفطية المتوسطة ومعها الاتحاد الاوروبي، على الاعتراف بها كلاعب اقليمي كبير يريد بشدة امتلاك حصة في هذه الثروات مستقبلا. اخيرا، في ظل كل هذه العناصر، هل تستنسخ عناصر الحرب السورية وادواتها في الساحة الليبية واما بمفاعيل ربما تكون اكثر تفجرا، فيما يقوم اردوغان بمغامرة عسكرية بعيدا من بلاده مئات الكيلومترات؟ الوقت قد يحمل الاجابات.



قوة تابعة لحكومة السراج في طرابلس.



موال لحفتر خلال اشتباك مع اسلاميين مسلحين في بنغازي.

العثمانيون وليبيا

بالنسبة الى اردوغان، الاحداث الحالية تعيد الى ذاكرته سنوات السيطرة العثمانية على ليبيا التي بدأت قبل حوالي 500 سنة حتى سقوطها في قبضة الاحتلال الايطالي في العام 1911.

كانت طرابلس تحت سيطرة فرسان مالطة. وتقول الروايات التاريخية ان اهل المدينة استنجدوا بالعثمانيين الذين ارسلوا قوتين، عبر البر من جهة مصر وعبر البحر بقيادة طرغوت باشا، فحاصروا طرابلس ودخلوها في آب 1551.

غسان سلامة

يتولى وزير الثقافة السابق الدكتور غسان سلامة منذ حزيران 2017 مهمة مبعوث خاص للامم المتحدة الى ليبيا، ويواجه تعقيدات الملف الليبي بابعاده الداخلية والخارجية. يقول سلامة ان التدخلات الاجنبية تجعل الامور اكثر تعقيدا، مطالبا بوقف دعم اطراف الازمة بالاسلح والمترقة. كما سبق له ان طرح خطة من ثلاث نقاط للتسوية تتضمن اعلان هدنة، وعقد اجتماع دولي رفيع المستوى من اجل ترسيخ وقف الاعمال العدائية، والعمل معا من اجل فرض التطبيق الصارم لحظر الاسلحة ومنع تدفق الاسلحة، على ان يلي ذلك اجتماع ليبي يضم شخصيات بارزة ومؤثرة للاتفاق على عناصر شاملة للمضي قدما. ويحذر من انه اذا لم يتم التوصل الى اتفاق في ليبيا، يخشى ان يمتد عدم الاستقرار الى مصر والسودان وان نشهد موجة هجرة كبيرة.



الموفد الاممي الدكتور غسان سلامة.

بعدها كان قرار التفويض العسكري من البرلمان التركي لاردوغان مقرا في 7 كانون الثاني 2020، جرى تقديم الموعد الى 2 كانون الثاني 2020، ما عكس العجلة التي تتعامل بها تركيا مع الملف الليبي، مع تقدم قوات المشير حفتر في اتجاه حسم معركة طرابلس وسيطرته على مدينة سرت الحيوية.

تشعر مصر بالقلق مما يجري على حدودها الغربية، لذا وجهت القاهرة خطابا في كانون الثاني الماضي الى مجلس الامن، تطعن في قانونية التفاهات التركية مع السراج. هناك حديث قوي عن خط امداد مستمر تقدمه القاهرة لبنغازي حيث يتمركز حفتر. القاهرة قلقة من الغزو التركي للاراضي الليبية، ومن النشاط النفطي للترك في البحر المتوسط الذي قد يعرقل تعاونهم في مجال الطاقة مع اليونان وقبرص مستقبلا. وتشير القاهرة الى ان مذكرة التفاهم بين اردوغان والسراج غير قانونية لانها تخالف ما يعرف باسم اتفاق الصخيرات الذي لا يجيز لحكومة طرابلس لوحدها ابرام اتفاقات دولية من دون موافقة البرلمان الليبي في طبرق.

اضافة الى ذلك، ثمة شكوك حول قانونية الاتفاقية لأن معارضي حكومة طرابلس يؤكدون ان ولاية المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق في طرابلس انتهت في اواخر عام 2017، ولا يجوز لها قانونيا ابرام اتفاقيات دولية. في الوقت ذاته، يعتبر اردوغان ان

الليبية حول المناطق البحرية هي استجابة اتفاقية مماثلة بين اليونان ومصر وانتهاكات الدول الاخرى للحدود البحرية الليبية. في رسالته لمناسبة رأس السنة الجديدة، قال اردوغان انه ملتزم تطبيق بنود الاتفاق مع حكومة طرابلس، مؤكدا في موقف لاف ان مخططات اقصاء تركيا عن البحر المتوسط باءت بالفشل نتيجة الخطوات التي اقدمت عليها انقرة.

لاحقا، قال اردوغان في مقابلة تلفزيونية ان المذكرة حول مناطق الصلاحية البحرية قلبت وضعا فرضته معاهدة سيفر عام 1920. لكن المعارضين للاتفاق بين انقرة وطرابلس يقولون انه يعتبر ان الحدود البحرية التركية - الليبية مشتركة، متجاهلا وجود الجزر اليونانية مثل سلسلة جزر كاستيلوريزو وكارباتوس وكاسوس ورودس وكريت. يعني ذلك عمليا ان تركيا تضع يدها على جزء كبير من المنطقة الاقتصادية لليونان والتي منحت اجزاء منها بموجب اتفاقية لوزان عام 1923.

وفي مؤشر اضافي على التجاذب الاقليمي، قالت آمنة امطير، العضو في المجلس الرئاسي الليبي المعترف به دوليا، ان المذكرة التركية -



صورة من مذكرة التفاهم.